منهج المعرفة والاستدلال عند النورسي

الدكتور حمود عليمات

علم الاجتماع/ الجامعة الأردنية

عند اختياري لموضوع هذه الورقة، ظننت أنني أمام مخاضة يسهل اجتيازها، ولم أكن أعلم أنني أمام بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب. لقد وجدتني أمام بحر زاخر من المعرفة القرآنية البرهانية الفائقة، والتي أحسست بعظم الواجب الملقى على عاتق تلاميذ ومحبي الشيخ في نشرها وتقريبها للعموم.

وأمام هذا الأمر فإن ورقتي هذه، استكشافية، استطلاعية، مبدئية، تحاول أن تتلمس البناء العظيم للرؤية المعرفية، والمناهج الإستدلالية عند النورسي. إن تطوافي في المجلدات الثمانية التي كتبها الأستاذ، أعطاني إحساس أن ثمة بناء معرفي ضخم عند هذا العالم الجليل، والذي استطعت تلمس بعض أركانه. لكن كشف الستار عن هذا النظام المعرفي الإستدلالي المنهجي يستلزم جهوداً أكبر، وعملاً أعظم آمل أن ييسر المولى الكريم من يقوم به.

وكون هذه الورقة استكشافيه ارتيادية فيمكن، تقديم الملاحظات التالية حول معرفيّة الأستاذ النورسي.

أولاً: أنه رجل قرآني

فمعظم كتاباته وأفكاره هي في ظل القرآن ومن وحي القرآن، فهو يستلهم القرآن ويناجيه، ويستنطقه ويحاكي به الكائنات، ويكتشف أسرارها وأسس نظامها، والقرآن عنده نظام محكم بنيويّ وظيفيّ، أجزاءه تمثل وحدة متكاملة تؤدي رسالة كليّة.

لذلك فقد سَلِمَ هذا الشيخ الجليل من عيوب التعضية والتفتيت، واستطاع أن يحافظ على الصورة المتكاملة للقرآن الكريم، وبهذا استطاع أيضاً أن يسلم من مشكلات التعطيل للقرآن، فالقرآن كله فاعل متحرك، وليس فقط آيات

التشريع التي تقارب ٦٪ من آيات القرآن أو آيات الحدود التي تقارب ٠,٠٧ منه، إن القرآن عنده كتاب هداية وسلوك ومعرفة وعمل وعبادة وذكر.

ثانياً: قراءته الشمولية البنيوية الفاعلة للقرآن

فهو يهتدي بهدي القرآن، ويستلهمه من وحيه، وقد أدت به هذه القراءة إلى إحسان النظر في الوجود والمعارف، والكون والمخلوقات، ووصل إلى النتيجة التي يصلها من يقرأ القرآن بعمق، وهي توأمية القرآن والكون.

هناك كتابان: الكتاب المقروء والكتاب المنظور، وكلاً منهما يفهم من طريق الآخر، وكلاً منهما يؤدي رسالة في تحقيق المعرفة الكبرى وهي معرفة الله.

فالكتابين متكاملين متفاعلين، يستحيل عليك أن تقرأ القرآن دون أن يلفت نظرك إلى عظمة الكون بمخلوقاته وأركانه المختلفة، إن كلاً من الكتابين يقرءان بنور العقل المنبعث من القلب والوجدان، وهنا سلم الشيخ من الثنائيات الزائفة. ثنائية (**العقل والوحي**)، أو ثنائية (**النقل والعقل**). فهذه المصادر -إن كانت كلها مصادر للمعرفة- لكتاب واحد مفرد ومنظور تؤدي وظيفتها المعرفية الكبرى في تحقيق الإيمان الكامل.

ثالثاً: القراءة المستقلة للقرآن

إن انفتاحه على القرآن، واستمداده منه وتحرره من إسار النظر السابق أو الإنتماء المذهبي أو إنقاذه من إسقاط الرؤى الخارجية عليه. فقد تحرر النورسي من النظرة التي انطلقت من اتخاذ «القرآن عضين»، فكانت مجزأة غريبةً على القرآن بعيدة عنه.

لذلك سَلِمَ من العيوب التي اصطبغ بها فلاسفة المسلمين أو علماء كلامهم، أو أتباع فرقهم الذين اتخذوا جوانب مفتتة من القرآن الكريم، فأصبحت علومهم موحشة، جافة القلب والعقل، فقدت حلاوة الإيمان وطلاوة القرآن، لقد كان الشيخ ينظر بعين البصيرة، لاعين التقليد.

لم يكن من الذين «يرون مايعتقدون» بدلاً من أن «يعتقدوا مايرونه».

رابعاً: المعرفة الكبرى (نظرية المعرفة النورسية)

إن المعرفة الكبرى عند النورسي هي معرفة الله سبحانه، وهي المعرفة التي توصل إلى الإيمان واليقين والإطمئنان. لذلك فإن مصادر المعرفة التبعية الأخرى وهي:

١. الكتاب.
٢. الكون (الأفاقي والأنفسي).
٣. الرسالة.
٤. الوجدان.

هي طرق موصلة إلى هذه الغاية الكبرى، لكن كان تركيز الأستاذ كبيراً على الكتابين «**المسطور والمنظور**» فهما ممثلان غيرهما أصلاً أوتبعاً، ويستدل منهما ومن نظمهما على الخالق الكريم.

لذلك يرى الشيخ أن اهتمام القرآن بالكون هو اهتمام نمائي وظيفي، يهتم بالأمور للوصول إلى غايتها لا إلى أوصافها وهيئاتها وخصائصها. وهناك يفترق علم الكون الإيماني، مع علم الكون المنقطع عن الإيمان سواء أكان علماً طبيعياً أم احتمالياً أو فلسفياً.

فالعلوم المنقطعه، قد فقدت نمائيتها، وانفلتت في الكون مثل الطائرة أو السفينة التي فقدت بوصلتها، وهي سترى وتميّز تفصيلات كثيرة ودقيقة لكنها تفتقد الرؤية والغاية الكبرى.

وهنا قد يقع المهتمون بالإعجاز العلمي للقرآن في إشكالية الإنغماس فيما لا غاية له، أو وضع القرآن للعلم والعلماء (وهذا ما سنشير إليه في موضع آخر إن شاء الله).

خامساً: البنية المعرفية

إذن الغاية الكبري للمعرفة هي معرفة الله (المعرفة الإيمانية). والوصول إلى هذه المعرفة تكون بعد إعمال الإستدلال لكافة أنواعه على مايمكن أن نسميه: العوامل المعرفية أو المصادر المعرفية، وهي (الكون «أنفساً وآفاقاً»، والرسالة، والرسول، والكتاب و....إلخ).

وهذه المصادر من مكونات مختلفة فبعضها مادي وبعضها معنوي، وبعضها مختلط، ولكنها كلها من موجودات هذا الكون وبالتالي فإن معرفتها أولاً ومعرفة النظام الذي تسير عليه هو الخط الأول للاستدلال الأكبر.

سادساً: فاعلية النصوص «إجتماعية المعرفة»

إذا وجد من بين المسلمين من يعتبر أن نصوص الوحي متناهية، وأن الحوادث غير متناهية وبالتالي هذا يستلزم مصادر استدلال إضافية، ووجد من يقول إن النصوص متناهية، ولكنها مشتملة على كامل المبادئ اللازمة للاستدلال وبالتالي لا حاجة لغيرها، فإنه إضافة إلى هذه الأخيرة فإن النصوص عند النورسي حيويّة فعالة بمافيها من نظم وإعجاز، وأنها كفيلة بالمدد إذا وجدت من يرقى إلى مستواها وينهل من معينها، فالنصوص ليست قوانين جامدة أو مفاهيم رمزيه مطلقة تحمل من المعاني مايمكن أن يتناسب مع التفاعل الإنساني بالكون. فكلا النصوص: المنظورة والمقروءة تحمل معارف ورسائل تتفتح في حينها، وربما تختفي في غير أوانها، ألا ترى النظريات الفيزيائية تعيش سنوات وربما مئات السنوات، وهي تفسر الظواهر الطبيعية ولكنها بعد فتره تتنازل عن بعض مقولاتها لنظريات أخرى تقدم فهماً أفضل للكون. كذلك نصوص الوحي فهي مخزن للمعاني، تُفهم أفضل وتفتح مغاليقها عند وجود مفاتيحها المناسبة، وربما يلزم أحياناً مفاتيح متماثلة للكتابين: «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم». فكلا الكتابين آيات في الأنفس والآفاق.

فالمعاني محددة لكنها ثمار تفاعل العقل الإنساني وأدواته المعرفية مع هذه العوامل المعرفية؛ فتتجدد صورة العالم، وتتجدد حياة النصوص بهذا التفاعل المعرفي.

لذا يمكننا الاستنتاج المبدئي باجتماعية المعرفة القرآنية، وأنها ليست معرفة هناك، ولكنها معرفة هنا لأنها نتاج التفاعل والتحاور المتبادل. فالقرآن حوار أعظم بين الإنسان والكون.

سابعاً: الأسلوب البرهاني

لقد كانت كتابات النورسي سلسلة متصلة من القضايا والبراهين والإستدلالات، ربما لاتصاله الشديد وطبيعة الصراع الفكري الذي كان يحياه.

فإذا كان كتاب مثل «**الموافقات**» للإمام الشاطبي سلسلة متصلة محكمة من الأصول المقاصدية والقواعد وتفريعاتها. فإن كتابات النورسي سلسلة من الإستدلالات والبراهين العقلية التي تأخذ بالألباب ويطمئن بها الوجدان.

فالمصادر المعرفية التي ذكرت آنفا تستلزم استخدام أدوات إستدلالية ومنافذ معرفية خاصة. لذلك فإنك تجد البراهين الإستدلالية القياسية، المنطقية العقلانية، والتجريبية العلمية، أو العاطفية من الاختبار والتعليل إلى الإستنتاج والتدليل.

لكنك تفتقد في هذا الإستدلال الجفوة والجفاء والنظر البارد وما أنت بحاجة له، وتنعم بالأدله المتنوعه التي يستند بعضها إلى بعض.

ثامناً: التكامل المنهجي

فإذا كانت المصادر المعرفية متعددة الأصناف والأنماط، وإن كانت مناهج الإستدلال ونوافذه المعرفية كثيرة وشاملة، وإذا كانت كلها تعمل لغاية واحدة هي المعرفة العظمى المعرفة الإيمانية، فإن ما نجده هنا تكامل معرفي منهجي استدلالي. فلا تعارض في المناهج أوتضارب أو إقصاء بل كل نوع من الدلائل يؤدي دوره في الوصول إلى الحكمة الكبرى والمعرفة العظمى.

صحيح أن العوامل المعرفية يلزمها برهان أكثر وتعقل أعمق، هذا مما يجعل المصدر الهام هنا هو البرهانية؛ لأن البنية التكوينية لهذه العوالم محكمة ومنظمة وكاملة ومجملة. في هذا الإحكام والتنظيم في الموجودات يمكن أن تعبر عن نماذج نظرية فكريه منطقية تُدرك أو تُسند بالوجدان. فالعقل هو المستفيد من هذه المنافذ المناسبة للعوالم المعرفية المختلفة.

تاسعاً: القراءتان

إن عماد منهج النورسي هو القراءتان: قراءة الكون المنظور وقراءة الكون المقروء «الكتاب المعرفي»، والقواعد هنا ليست إنفرادية بل إنه يقرأ هذا بذاك وذاك بهذا، وهو يقرأ كل منها بالآخر ليصل إلى المعرفة الكبرى. لذلك فكلا الكتابين هو مفتاح للآخر، فمفتاح الكون هو القرآن الكريم الذي يديم الإحالة

إلى الكون، ومفتاح القرآن الكريم هو الكون نفسه وآفاقه **﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك إنه على كل شيء شهيد﴾**[1].

على أن الكتاب المقروء لمن يتدبر ويعقل ويستدل يصل إلى المعرفة الكبرى، الإيمان بالله ومعرفته، فالكتاب المنظور يمثل الخطوه الأولى في معراج الإيمان، ويمكن أن يصل منه الإنسان إلى الهداية الأولى، الهداية الكونية التي تدله على الخالق والكون البديع. هذا الكتاب الذي أبدع الإبداع وزيّنه، فلا ترى فَوَتَ ولا فطور، ولا عوجاً ولا أمتاً.

والكتاب المقروء يقدم للإنسان تعميقاً للهداية الأولى فإذا كانت الهداية الأولى إختبارية واقعية، مطابقة للنظم الموجود في الكتاب المسطور. عندها تتطابق القراءتان، ويتوحد العالمان ليوصلا للإنسان الهداية والكمال والإيمانية والتشريع والإعتبارية التشريعية التوجيهية، خاصة بعد قراءة الكون (الإجتماع والتاريخ الإنساني الذي يمثل شقاً من الكون الأنفسي الجماعي).

وهنا يحق لنا العجب والإستغراب من حال المسلمين، لِمَ لَمْ تكن علوم الإيمان هي علوم الطبيعة، ولِمَ لَمْ يكن فقه الكون الإجتماع هو الفقه السائد.

إن إهمال وتنازل المسلمين عن عالم الإيمان الطبيعي أو الإجتماعي أو القصور في فهم الرسالة الهدائية للقرآن، أدى إلى تناقص الفاعلية الاجتماعية للمعرفة القرآنية. وذلك لنقص عناصر التفاعل الضرورية فيها، وبالتالي كانت النتيجة القهر والخذلان، وضعف الإرتباط بالكون وبالقرآن.

إن حقيقة القراءتين عند النورسي أنها قراءة واحده ذات وجهين متفاعلين متصلين غير منقطعين، آيات الله واحدة في الاعتبار والغاية سواء أكانت منظورة أم مقروءة. لايمكن أن تكتمل سعادة الإنسان وطمأنينته الإيمانية إلا باكتمال مصدر معرفته وهدايته.

إن الكتاب الإجتماعي الإيماني، هو الذي يهتدي فيه الإنسان هدايته الأولى بالكون والطبيعة، وتتعمق الهداية وترشد بالقرآن، ويسترشد سلوكه بالتشريع (الرسالة)، ويعتبر من التاريخ ويعظ ويستقيم من الغيب، هذا التكامل المعرفي

---

[1] سورة فصلت، الآية (٥٣)

المنهاجي مستلزم إستدامة حركة الإنسان فكراً وعقلاً، قلباً ووجداناً، أحاسيس وجوارح. ويستلزم أن تكون عناصر هذا الكون جدٌ متفاعلة ومترابطة حقاً؛ لأنها مخلوقات من رب واحد ليسري فيها نظام واحد وتتوجه إلى غاية واحدة، معرفة الله جل جلاله.

إذا تأملنا أرجاء هذا الكون نرى أن هناك نظاماً كاملاً وتناسقاً بديعاً مقصوداً في جميع أجزائه، فتشاهد إشارات الإرادة والاختيار، ولمعات القصد في كل جمع حتى يبصر نوره القصد في كل شيء، والإرادة في كل شأن ولمعات نور الاختيار في كل حركة، وشعلة الحكمة في كل تركيب[1]، وهذا الكون ليس مقصوداً لذاته.

لقد ثَبَتَ بالبحث والتحري الدقيق والإستقراء والتجارب العديدة للعلوم أن الخير والحسن والجمال والإتقان والكمال هو السائد المطلق في نظام الكون، وهو المقصود لذاته؛ أي هو المقاصد الحقيقية للصانع الجليل، بدليل أن كل علم من العلوم المتعلقة بالكون، يطلعنا بقواعده على أن في كل نوع وفي كل طائفة إنتظاماً وإبداعاً بحيث لايمكن للعقل أن يتصور الحكمة منه[2].

القرآن الترجمة الأزليه لهذه الكائنات والترجمان الأبدي لألسنتها التاليات للآيات الكونية، ومُفسّر كتاب العالم[3].

إن في القرآن الحكيم حوادث جزئية، ولكن وراء كل حادث يكمن دستور كلي عظيم، وإنما تذكر تلك الحوادث، لأنها طرف من قانون عام شامل كلي وجزء منه[4].

إعلم أن المقصد الأصلي في القرآن الكريم إرشاد الجمهور إلى أساسيات هي إثبات الصانع الواحد والنبوة والحشر والعدل. فذكر الكائنات في القران الكريم إنما هوتبعي وإستطرادي للإستدلال[5].

---

(1) الكلمات، النورسي، ص٦١٣.

(2) صقيل الإسلام، النورسي، ص٥٠.

(3) الكلمات، النورسي، ص٢٦٤.

(4) المصدر نفسه، ص٢٧.

(5) إشارات الإعجاز، النورسي، ص١٧٧.

عاشراً: امتزاج العقل والقلب

إعلم أن عقلي قد يرافق قلبي في سيره فيعطي القلب مشهوده الذوقي ليد العقل، فيبرزه العقل على عادته في صورة المبرهن التمثيلي[1].

الوجدان الحي أو الفطره الشاعرة الذي يمثل البرزخ، ونقطة إتصال عالمي الغيب والشهادة، فالفطره الشاعرة أو الوجدان نافذة إلى العقل ينشر منها شعاع الإيمان[2].

نحن معاشر المسلمين خدام القرآن نتبع البرهان ونقبل بعقلنا وفكرنا وقلبنا حقائق الإيمان، لسنا كمن ترك التقلد بالبرهان تقليداً للبرهان كما هو دأب إتباع سائر الأديان[3].

وعلى هذا فإن المستقبل الذي لاحكم فيه إلا العقل والعلم، سوف يسوده القرآن الذي تستند أحكامه إلى العقل والمنطق والبرهان[4].

وكما أوضح الأستاذ أنور الزعبي في إستجلائه للمنهج الظاهري عند إبن حزم وابتدائه بخطوة الانعكاس على الذات. لتصفية الفكر من الشواغل ومعاينة الأشياء بالعقل، والوصول إلى المعرفة... فإن النورسي يدخل مدخلاً عظيماً في الذات أو الأنا ويجعلها مقياساً للمعرفة ومعياراً لها.

إعلم أن مفتاح العالم بيد الإنسان أو في نفسه، فالكائنات مع أنها مفتحة الأبواب –ظاهراً– إلا أنها منغلقة –حقيقة– فالحق سبحانه وتعالى أودع من جهة الأمانة في الإنسان مفتاحاً يفتح كل أبواب العالم.. هو... مافيك من «أنا».

هذه «أنا» تنطوي على إشارات ونماذج يستدل بها على حقائق أوصاف ربوبته الجليلة وشؤونها المقدسة، أي يكون «أنا» وحدة قياسية تعرف بها أوصاف

---

(1) المثنوي العربي النوري، النورسي، ص٤١٣.

(2) المصدر نفسه، ص٤٢١.

(3) صيقل الإسلام، النورسي، ص٤٩٥.

(4) المصدر نفسه، ص٥٠٢.

الربوبية وشؤون الألوهية، «الأنا» مرآة عاكسة لحقائق الإيمان، إنها ميزان حساس للكون، ومقياس صائب دقيق، وفهرس شامل محيط، ومرتبة كاملة[1].

إذن «أنا» الإنسان مودع فيها كواشف الحكمة والمعرفة وعهود الأمانة. فالعودة إلى الذات واستنطاقها، والمقاييس بها معيار للحكمة والمعرفة، وغالباً مايكون فيها اليقين، ولوخالفها الجحود..

﴿وجحدوا بها وإستيقنتها أنفسهم....﴾

فالجحود ظلم وعدوان «واليقين» مستقر في وجدان الذات؛ لأن لها منافذ خارج نطاق القدره الإنسانية الواعية، هذا الاستيطان الذاتي، هو الجانب الوجداني من المعرفة، وهو مايمكن أن ينقص المعرفة الموضوعية، إن كانت هناك معرفة موضوعية مطلقة.

حادي عشر: العقل

العقل الذي هو أفضل أجهزة الإنسان وأرقاها. إن استعمل بسر التوحيد فإنه يصبح مفتاحاً ثمينا؛ بحيث يفتح الكنوز الإلهية الساعية، وألوفاً من خزائن الكون بينما إذا تخبط ذلك العقل في وحل الضلالة وقع في حجيم من آلام الماضي الجزئية، ومخاوف المستقبل الرهين[2].

فالعقل والقلب هما بحكم نواة الإنسان ولبّه. بفضلها استطاع أن يصبح ثمرة الكون، ويملكان من القدرة على الانبساط والاتساع مايمكنهما أن يطويا العالم كله رغم صغرهما.

...إن القلوب والعقول برازخ إنسانية بين عالمي الغيب والشهادة، فالعلاقات والعلامات بين ذينك العالمين -بالنسبة للإنسان- تجري في تلك النقاط.

---

(1) انظر الكلمات، النورسي، ص٦٣٥-٦٣٩.

(2) الشعاعات، النورسي، ص١٩.

التعقيبات

تعقيب د. رحيل غرايبة على ورقة د. سعاد بيلديرم

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين وبعد،

لم أنظر في الورقة نظرة تقويمية، وإنما أردت أن ألخص بعض الأفكار التي تعتبر تطبيقاً للفكر في مجال العمل. فعلى صعيد الفكر يُعدّ النورسي صاحب أنجح محاولة في صياغة نظرية معرفيّة إسلامية في القرن العشرين كما يقول الدكتور الدباغ، وذلك من خلال تأسيس نظرة تركيبية جامعة، تتوجه من الكثرة إلى الوحدة، ومن الجزء إلى الكل، وتحذر من الضياع والتيه في معالجة قضايا جزئية منبثقة من نظرة تجزيئية تفكيكية، والنجاح يكمن في القدرة على بناء هيكل معرفي متكامل، يجعل الفرد المسلم قادراً على التحدث بلسان النسيج الحضاري المتكامل، وفق بصيرة نافذة تستجمع قوى العقل الجمعي، وتبتعد عن السذاجة والسطحية والضحالة الفكرية. ومن خلال ما تحدث به الدكتور عليمات حيث يبدو كأن هناك جزءاً من هذه القضية، فالمعرفة عند بديع الزمان ثلاث معارف:

١. **معرفة كونية:** وهي تشمل علوم الكون (السماء والأرض وما بينهما وما تحت الثرى).
٢. **معرفة إنسانية:** تشمل الكينونة الإنسانية، وكل ما يتعلق بالإنسان فرداً ونوعاً ظاهراً وباطناً.
٣. **معرفة إلهية:** وهي ترتبط بوجود الله وبرؤيته ورعايته لخلقه.

هذه المعارف الثلاث متلازمة متساندة متصلة يؤدي بعضها إلى بعض، وهذه المعرفة الإيمانية عند النورسي منبثقة من القرآن الكريم والتفكر في كتابه المفتوح «الكون» وما فيه، أو المعرفة عند النورسي ثمرة من ثمار الإيمان بالله سبحانه وتعالى، ونتيجة من أبرز نتائج الإستقامة على الدين، والمعرفة الحقيقية عنده هي «معرفة الله»،

ويخاطب بديع الزمان الإنسان قائلا: «إذا كنت تروم الحصول على علم الحقيقة والحكمة فاظفر بمعرفة الله».

أما من ناحية الطريق إلى المعرفة، نستطيع أن نتبين مكانة الأستاذ النورسي من خلال الاطلاع باختصار على الطرق التي رسمها العلماء المسلمون السابقون.

الفارابي اعتبر العقل هو القوة التي تميز الإنسان، ومسألة المعرفة تحكمها عقول تتدرج من المحسوس إلى المعقول حتى تصل إلى العقل الفعال.

وأما **ابن سينا**: فالمعرفة عنده تقوم على الفطرة والمعرفة بالحدس، وهي أرقى درجات المعرفة.

بينما **ابن رشد**: الحس عنده له دور في إدراك الأجسام المركبة وإعادة الصورة، أما الفعل فإنه يدرك الماهيات والمعقولات المجردة.

والغزالي: يرى أنه لا الحس ولا العقل يوصلان إلى المعرفة الحقيقية، بينما المعرفة الحقيقية تأتي عن طريق القلب.

أبو الحسن الأشعري: أراد أن يضع العقل في موقعه الصحيح فقال: «لا طريق للمعرفة إلا الوحي والنبوة».

ابن تيمية: أراد أن ينفي التعارض بين العقل والوحي فقال: «المعرفة العقلية الصحيحة لا تقع خارج دائرة المعرفة التي يدعو إليها الإسلام».

الإمام النورسي يقول: إن المعرفة تقوم على ما في الإنسان من حواس وعقل وبصيرة، وعلى ما جاء به الوحي من عند الله. الحقيقة أنني أردت القول: أنه لا يفهم من القراءة المتسرعة لفكر النورسي في هذا المجال أنه يقول بنظرية الفيض الإلهي، وإنما يقول إن المعرفة تأتي من الاجتهاد الذي يقوم به الإنسان بعون من الله وباسم الله؛ أي إن الإنسان يجتهد ولا يستطيع ايصال المعرفة إلا بمعونة الله. وهذه -والله أعلم- يصدقها قوله تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾.

أما بالنسبة للمناهج الموصلة للمعرفة فالنورسي رسم أربعة مناهج:

١) **منهج الصوفية:** وهو المنهج الذي يتأسس على تزكية النفس.

٢) **منهج علماء الكلام:** وهو المنهج المبني على الحدوث والإمكان.

٣) **مسالك الفلاسفة:** ليست مصوغة من الشبهات والأوهام.

٤) **المعراج القرآني:** الذي ببلاغته المعجزة لا يوازيه طريق آخر في الاستقامة والثبوت، وهي أقصر الطرق وأوضحها إلى الله وأشملها.

أما على صعيد الحركة: هناك نقطة تستحق المناقشة ،وهي أنه مر بطورين أثناء حركته.

الطور الأول: أنه اشتغل في السياسة واهتم بها لمدة سنوات طويلة، ومارس الجهاد المادي عن طريق تشكيل بعض الفرق وكان هو قائدها، وتعرض للأذى في ذلك، وكان له حضور بارز على الصعيد السياسي.

الطور الثاني: رفع شعار عدم الاشتغال بالسياسة، والاقتصار على إصلاح الإيمان واشتهر بمقولته: أعوذ بالله من الشيطان والسياسة.

لخص الباحثون مبررات هذا التحول بأن المشتغل بالميدان السياسي مضطر للتعاون مع تيارات سياسية معينة والركون إليها، وهذا يجعله في بعض الأحيان يتغاضى عن أخطاءهم في سبيل هذا التحالف، إضافة إلى أن العمل السياسي أيضاً يؤثر على إخلاص المرء، فيجعله في بعض الأحيان منغمساً في بعض المنافع المادية والدنيوية مما يؤدي إلى الإخلال بقدسية عمله.

ويعتبر النورسي أيضاً أن الدعوة عامة لكل الناس، والانخراط في الأحزاب السياسية يجعلها تخاطب بعض الفئات المنحصرة، ولا يكون خطابها إلى كل الجماهير حكاماً ومحكومين إلى غير ذلك، يقول كذلك أن اتخاذ شكل الحزب السياسي يمنع التفاف الناس وجماهير المسلمين حول الفكرة، وهو يقول إن ٩٠٪ من المسلمين في العالم مؤيدين للإسلام، ولكن ١٠٪ تؤيد الأحزاب السياسية.

أظن أن فكرة النورسي أو الاستراتيجية التي نستطيع أن نرسمها من خلال حركته تقوم على إعادة بناء الإنسان المسلم كله، وإعادة تشكيل عقله عن طريق نظرية معرفية متكاملة، إعادة إحياء قلبه ووجدانه وتقويم سلوكه وأخلاقه، وذلك كله من خلال الخطاب القرآني الذي يخاطب الكينونة الإنسانية بكامل جزئياتها، وأعتقد أن هذا الكلام يشبه ما قاله حسن البنا عندما سؤل: هل نحن حزباً سياسياً أو إتحاداً رياضياً أو شركة اقتصادية أو غير ذلك؟ فذكر أن كل هذه المعاني هي من معاني الإسلام، ولكننا لسنا حزباً سياسياً، ولسنا شركة اقتصادية، ولسنا اتحاداً رياضياً، ولا غير ذلك فنحن روح جديدة تسري في هذه الأمة. أخيراً بالنسبة إلى مسألة المشاركة السياسية أعتقد أنها ما زالت بحاجة إلى إعادة القراءة من جديد، وإلى تقويم جديد بعيداً عن روح التعصب والمواقف المسبقة.

تعقيب أ. أنور الزعبي على ورقة د. حمود عليمات.

أعتقد أن ما قام به الأستاذ النورسي يشبه إلى حد ما ما قام به أبو حامد الغزالي الذي اعتمد البديهة والاستدلال والحس، ولكنه رغب أن يتجاوز ما قاله الغزالي، وهو بالفعل تجاوز بطروحاته ما قال به، ولكنه لم يأتِ بحقائق تجاوز الشرع ولا المعقول، وهو بذلك يدخل في مجال التفصيل والكشف والنور الذي يفيضه الله عليه، وبالتالي لا يكون شاذاً عن تصور بعض علماء المسلمين الذين لم يغالوا في التصوف والشطح والقول بالحلول والاتحاد وما شابه ذلك. وشكراً.

د. فتحي ملكاوي: وصلتني مجموعة من الأوراق أرجو من المتحدثين أن يجيبوا عنها بكلمات محدودة.

د. مأمون جرار: دكتور سعاد: من النظر في بحثكم والاستماع إليه. هل هناك صراع بين جماعة النور وحزب الرفاه؟ وما هي أوجه الربح والخسارة للإسلام بمشاركة حزب الرفاه بالحكومة؟

د. سعاد: لا يوجد صراع بين جماعة النور وحزب الرفاه، ولكني أريد أن أقول إن جماعة النور لا يرون الدخول في الفعاليات السياسية وهم لا يعارضون الرفاه.

وأشرت في بحثي إلى بعض نتائج دخول حزب الرفاه في الحكومة، للأسف يبدو بعضها ضاراً، وإن شاء الله ستتحول إلى نتائج محمودة، هذا ما نرجوه من الله سبحانه وتعالى.

د. **فتحي**: يبدو من خلال قراءة عناوين بعض الأوراق معظمها يتحدث حول نفس القضية التي أثيرت في السؤال الأول. هذه ورقة تقول: أعوذ بالله من الشيطان والسياسة ما مقصد الأستاذ النورسي منها؟. لماذا يُركز على النتائج السلبية لمشاركة حزب الرفاه في السلطة؟ يبدو أن عدداً من الأسئلة تتعلق بهذا الجانب فأقترح أن نعطي دقيقة واحدة للأستاذ إحسان وأخرى للأستاذ سعاد لعلهم يزيدون الأمر وضوحاً.

أ. **إحسان**: الأستاذ النورسي لم يقل هذا الكلام جزافاً، وإنما مارس السياسة لسنين طويلة، وعانى ما عانى من السياسة، ثم قال هذا الكلام، الذي أصبح نوعاً من الاستراتيجية في الوقت الحاضر، وأظن أنه في كتابنا الصغير «بديع الزمان النورسي: حياته وآثاره» ذكرنا هذا الكلام وذكرنا كلام النورسي نفسه. لماذا استعاذ بالله سبحانه وتعالى من السياسة الحاضرة!! وليس من السياسة بالمفهوم الشرعي المعروف. لا أعتقد أن أحداً يستعيذ بالله من السياسة الحقيقية، أما في الوقت الحاضر فالسياسة الموجودة هي السياسة الحاضرة، وهي نتيجة لما أفرزته الحضارة الأوروبية من كذب، وما هو معروف لدينا من كتاب الأمير لميكافلي، فهي سياسة ميكافيلية نفعية مستندة إلى الفلسفة المادية التحتية، وليست هي السياسة الشرعية.

د. **سعاد**: شكراً للدكتور رحيّل غرايبة لاشتراكه معي في الفكرة نفسها، وأريد أن أضيف إلى ما تفضل به، وكجواب عن هذا السؤال أيضاً، كان الأستاذ النورسي يشتغل بالسياسة الكبيرة، بدل الاشتغال بالسياسة الصغيرة، وعندنا دليل مادي مشخص من التاريخ، في سنة ١٩٥٠م أسقط الشعب التركي بأصواته حزب (عصمت إينونو) من السلطة في أول المراحل الديمقراطية وفي أول انتخابات حرة، وفيما بعد قيّم عصمت إينونو الموقف بقوله: أسقطنا طلبة النور.

لم يؤسس الأستاذ سعيد النورسي حزباً سياسياً، ولكنه اشتغل في توعية الناس توعية إسلامية، والشعب الذي حصل على هذا الوعي، عرف طريقه وأنجز، وهذه نتائج السياسية الكبيرة. فالأمور بعواقبها.

د. حمود عليمات: صحيح أن الشيخ النورسي لم يكن سياسياً بمعنى ممارس للسياسة الجزئية، لكنه كان مفكراً سياسياً عظيماً، كان لديه هدفاً كبيراً جداً وهو محاربة العلمانية والتغريب الشامل في تركيا، لقد كان كل هدفه موجه نحو القضاء على نبع العلمانية، وكان يوجه أنظار تلاميذه لذلك فيقول مثلاً انظروا إلى حزب كمال وانتخبوا أي حزب غيره، وأنا باعتقادي أن هذه سياسة كبيرة جداً وعظيمة واستراتيجية وهذا هو المهم، أما الاشتغال بالجزئيات السياسية قد لا يكون عظيماً، وأظن –كما ذكر د. سعاد– أن المستقبل سيبين ذلك.

د. فتحي: ورد سؤال يتعلق بورقة د. حمود من الدكتور مصطفى عليان يقول: إن النورسي استطاع أن يسلم من مشكلات التعطيل للقرآن، فالقرآن كله فاعل، والدكتور مصطفى يصحح ذلك فيقول مصطلح التعطيل يتعلق بأسماء الله وصفاته.

د. حمود عليمات: أنا لا أستخدم مصطلحات الصفات والأسماء، وإنما أعنى أن القرآن أصبح عندنا تشريعاً فقط، فلو أجرينا استفتاءً في الغرب أو في ديار الإسلام: ما هو الإسلام؟ ستكون الإجابة: الإسلام هو قطع الأيدي والأرجل... إلخ (تطبيق الحدود فقط). إن الصورة الموجودة في أذهان جماهير من المسلمين وغيرهم أن الإسلام هو الحدود الذي لا تتجاوز آياته ١٨ آية أي ما يساوي ٠,٠٠٧ من القرآن الكريم ، هذا ما قصدته. تعطيل القرآن كمنهج للحياة وسلوكاً شاملاً، إن الفقه الذي ورد في القرآن لم يرد لفقه التشريعات والأعمال اليومية، المسلمين إلى حدٍ ما تركوا القرآن منذ مئات السنين واهتموا بقرآن التشريع، هذا ما قصدته ولم أقصد مصطلحات علم الكلام.

د. فتحي: الدكتور محمد المجالي يقول: كأنني أفهم من كلام الأستاذ الدكتور سعاد أن العمل السياسي والوصول إلى الحكم عن طريق حزب الرفاه كان سلبياً على

الحركة الإسلامية والنهضة الإسلامية في تركيا. ويا ليت حزب الرفاه لم يصل إلى الحكم، وأن النتيجة التي يريدها الأستاذ سعاد أن يبقى المسلمون خارج نطاق العمل السياسي.

د. **سعاد**: أظن أنني قد أجبت عن هذا السؤال، التقديرات السياسية تختلف حسب وجهات النظر، فمثلاً هناك من يشتغل بحرارة في حزب الرفاه، وهناك من ينتقد سلطة حزب الرفاه، ويقولون يا ليت لم يصل السلطة بهذا الشكل وبهذا الوقت، ويقولون أيضاً: كان على حزب الرفاه أن يبقى في المعارضة ليوسع تأثيره، ويوسع شعبيته، ويزيد من المؤيدين لآرائه حتى ينال ثقة الناس، وبعد هذا يأتي إلى السلطة، فهم في هذه المرحلة لا يوافقون أن يبقى في السلطة، وهم رفاهيون أيضاً.

د. **فتحي**: هناك تعليقات من شخص وقع اسمه بحسام يؤكد نفس القضية المتعلقة بموقع حزب الرفاه في الحكم، والإشارات التي ذكرت قبل قليل عن أثر وجوده في الحكم، وأنه قد أدى بالفعل إلى إغلاق المدارس الدينية، وإثارة العلمانيين ضد الإسلام، وفصل الضباط الإسلاميين وما إلى ذلك. لكنه يضيف والذي نرجوه نحن من جميع المسلمين في تركيا أن يتعاونوا لخدمة الإسلام، فالنورسيون ينتخبون الرفاه، والرفاه يقوم بزيادة المساجد ودور القرآن، وتوفير الحماية للنورسيين ليقوموا مع إخوانهم في الرفاه بنشر هذا الدين والتمكين له، وأعتقد أن هناك –يقول– تكاملاً بين النورسيين وبين حزب الرفاه، وإذا ما تعاونوا فيما بينهم على القواسم المشتركة سيشكلون جبهة كبيرة، يصعب تجاوزها من قبل العلمانيين وقادة الجيش، وسيكون لهم تأثير كبير في بلدهم. أما القول إن النورسيين لا يشتغلون بالسياسة فهذا قول ليس دقيقاً، فهم يمثلون كتلة وينتخبون، ويُأخذ شأنهم بعين الاعتبار وهذا يتناقض تماماً مع فكرة عدم الاشتغال بالسياسة، لكن يبدو أن المقصود هو عدم الاشتراك في الحكم في هذه المسألة بالذات. فهل لك تعليق أستاذ سعاد على هذا؟ أم تؤيده؟

د. **سعاد**: صحيح. لا يمكن للإنسان أن يتجرد من الأعمال السياسية تجرداً كاملاً، على الأقل بالانتخاب، أو بنشر أفكاره، المقصود السياسة الصغيرة، أما تشكيل حزب. والاشتغال الكامل بالسياسة هذا هو المقصود.

د. فتحي: سؤال للدكتور حمود من د. أمين عودة يقول: النظام المعرفي عند النورسي عُرض بطريقة مقلوبة، فوضع أولاً معرفة الله، ثم طرق الاستدلال الأخرى، والحقيقة أن النورسي كان يستدل بالمظاهر الوجودية أولاً على وجود الله تعالى، ثم تأتي بعد ذلك المعرفة به، وهذه نتيجة تبدو أنها طبيعية، ولا سيما النورسي كان معنياً بالرد على الملاحدة.

د. حمود: الرسم البياني الذي وضعت فيه أسهماً تدل على النظام المعرفي المتفاعل، وقد وضعنا الغاية الكبرى أولاً ثم بيّنا طريق الوصول إليها، لكن أوصلناها بأسهم مختلفة، بعضها لم يظهر باعتبارها ليست معرفة عملية تفاعلية، فلا توجد معرفة مستقلة، المعرفة عمل مستمر بين العارف والمعروف وبين الأقوال المختلفة الأخرى، هذه خارطة عامة وشاملة ومبدئية، يلزمها تفصيلات.

د. فتحي: الدكتور إسحق الفرحان يود أن يعقب على مسألة ارتباط السياسة بالإسلام سواء في مسألة المشاركة، أوالتداخل بين العمل الفكري والعمل السياسي.

د. إسحق الفرحان: بسم الله الرحمن الرحيم. أريد أن أتكلم كلمتين صغيرتين حول هذا الموضوع وهو أن الإسلام عقيدة وشريعة ونظام حياة، ويشمل نظام الحياة جميع الحالات الدعوية والثقافية والتربوية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية، ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، هذه واحدة في التصور ما دام أن الإسلام نظام شامل ومتكامل، فالعمل للإسلام عمل شاملٌ متكامل فهناك العمل الدعوي والتربوي والثقافي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي، وإذا توصلنا لا سمح الله إلى أن السياسة ليست من اهتمامات الدين الإسلامي، فكأننا نكرّس الكهنوتية وفصل الدين عن الدولة وعن المجتمع، وأعتقد نظرة إلى الوضع في تركيا أن الأستاذ النورسي رحمه الله لما أكدّ في منطلقات تفكيره على الإيمان بالله في تلك المرحلة التي تخوضها تركيا –وهي العلمانية– أعتقد أن هذا التأكيد هو لُب السياسة وجوهرها، وإن لم يؤلف حزباً سياسياً، فإرجاع الناس إلى دينهم وإلى إيمانهم بالضرورة يعطيهم التصور الشامل للإسلام، حتى إذا تربى الجيل الذي سيتحمل مسؤولية الدولة الإسلامية والعمل الإسلامي المتكامل عندئذ يكون عَمِلَ خيراً كثيراً، وأدى للمسلمين

فائدة كبيرة. أما من حيث التكامل بين العاملين للإسلام، فأنا أعتقد أن هذا التحدي- ومن وجهة نظر سياسية -تحدٍ كبير لا يشمل فقط تركيا بل كل الأقطار الإسلامية، لا بد من تضافر كل العاملين للإسلام، وأن يسع بعضهم بعضاً، وأن يؤكدوا على القواسم المشتركة بأن العمل الدعوي هدف، والعمل التربوي هدف استراتيجي للإسلام، والعمل الخيري (وأفعلوا الخير) هدف استراتيجي للإسلام أيضاً، كما أن الاهتمام بأمور المسلمين (من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم)، والسياسة عمل استراتيجي للإسلام، وكل هذه المشروعات الإسلامية يعضد بعضها بعضاً، ويرفد بعضها بعضاً، ويغذي بعضها بعضاً، ويُنجح بعضها بعضا. والواجب الشرعي على المسلمين أنّى كانوا وعملهم النهائي أن يدعم بعضهم بعضاً، حتى تتحقق مقاصد الشريعة إن شاء الله. نسأل الله أن يعيد لتركيا دورها في أن تكون بوابة العروبة والإسلام كما كانت في بداية الخلافة. والسلام عليكم ورحمة الله.

د. فتحي: هناك سؤال للأستاذ إحسان يقول: ورد في ورقتكم أن النورسي قال في رسائله: «أن هذه الرسائل ليست مما مضغته أفكاري، وإنما إلهام إلهي أفاضه الله سبحانه وتعالى على قلبي من نور القرآن»، ألا توحي كلمة الإفاضة بكيفية كتابة حواريي سيدنا عيسى للإنجيل، وأن رسائله في هذا كإلهام أولئك الحواريين الذين غدت كتاباتهم هي الإنجيل بعينه، ألا يعني ذلك أن لرسائله قدسية ومكانة في نفوس أتباعه تساوي قدسية إنجيل متى ومرقص، وأعتقد أن هذا يشير ربما إلى خطأ في التعبير يؤدي إلى أخطاءٍ في الاعتقاد والنظر في فكر النورسي.

إحسان: أولاً: الكلام فيه تحامل كبير جداً، وما أظن أن مسلم يخطر بباله شيء من هذا مطلقاً، لا أظن أن النورسي ولا طلابه ولا أي مسلم بسيط، يعتقد بهذا؛ لأنه حتماً يخرجه من دائرة الإسلام، ولكن هناك شيء واحد أقوله وهو أن الإنسان عندما يرتقي في مراتب الإيمان، وعندما يتتلمذ على القرآن، يزيد الله في تقواه ويفتح في قلبه من طاقات النور ما لا يفتحه في أوقات أخرى، وهذا يذكره الأستاذ النورسي أنه في الأوقات الأخرى شخص عادي، له شخصية اعتيادية وفي أوقات أخرى في العبادة بحيث لو كان الناس اجتمعوا ويقولون له: أنت صالح،

أنت رجل جيد، أنت رجل ولي، لا يمكنهم أن يقنعوه، أنا رجل مخطئ، أنا سيء أمام الله، مذنب، يعتقد بهذا جيداً، ويعتقد بنفس الوقت أنه هو في شخصية أخرى لدى تتلمذه على القرآن الكريم ، يفتح الله على قلبه ما لا يفتحه في الوقت الآخر، ولهذا كان يملي على تلاميذه في هذه الأوقات، وأما في الأوقات الأخرى فيقول: لم يفتح الله على قلبي وهذا ظاهر ليس فقط في النورسي، وإنما في علماء آخرين كثير، وحتى في يومنا هذا يوجد أناس من هذا النوع يفتح الله على قلوبهم من الإلهام ما لا يفتحه في أوقات أخرى، والإلهام وارد بالنسبة للمسلم، حتى النورسي نفسه يذكر الإلهام، من إلهام الملائكة إلى إلهام المرسلين إلى إلهام الأولياء إلى إلهام الناس، حتى يصل إلى إلهام الحيوانات، وحتى القرآن الكريم يصرّح بهذا ﴿وأوحى ربك إلى النحل﴾ هذا نوع من الإلهام الإلهي، فإذاً الإلهام مراتب، والإنسان كلما ارتقى في مراتب الإيمان، وفي المعرفة الإلهية، شرح الله صدره.

حتى الأستاذ عمر التلمساني رحمه الله كتب «الرجل الملهم حسن البنا» هل نقول: إن حسن البنا ألف إنجيل متّى أو مرقص!.

د. فتحي: كل الأوراق التي بين يدي تتحدث عن قضيتين. قضية دور جماعة النور في الانتخابات، ولمن أعطوا أصواتهم في الانتخابات الأخيرة. والسؤال الثاني: هل يقترح الأخوة الذين تحدثوا في مقابل ما يتعرض له حزب الرفاه في الحكم الآن، أن لا يشارك في الحكم وينتظر فرصة أخرى؟

د. سعاد: لا يمكن أن أجيب عن هذا السؤال بشكل جاد، لأن الأصوات مخفيّة، ولا يعلن جماعة النور من يؤيدون في الانتخابات، ولكن حسب تقديري أن كثير منهم أيّدوا حزب الرفاه، وإلا كيف كان يمكن أن يكسب حزب الرفاه في تركيا، مثلاً في اسطنبول عدد سكانها ١٢ مليون نسمة، لو لم يصوّت لحزب الرفاه كيف يمكن له أن يكسب الرياسة، لأن من شاهد اسطنبول يعرف أحوال الشعب، أظن أن أكثرهم صوتوا لحزب الرفاه.

هناك تحقيقات لجريدة الزمان اليومية، وهذه الجريدة تنتسب إلى جماعة النور، التحقيقات تشير إلى أن أكثر من ٥٠٪ من قراء جريدة الزمان صوتوا لحزب الرفاه، لكنهم غير منتسبين إلى حزب الرفاه.

بالنسبة للسؤال الثاني: أنا اشترك في وجهة النظر هذه. حبذا لو تمهل حزب الرفاه في المجيء إلى السلطة.

د. فتحي: أ. إحسان هل لك تعقيب على هذا؟

أ. **إحسان**: الأخوة الذين تفضلوا بالسؤال حقهم لأنهم لا يعرفون ساحة تركيا إلا من بعيد، وكل المعلومات التي لديهم هي معلومات تردهم من الصحف أو التلفزيون وهذه معلومات طبعاً ليست صائبة... إلخ.

لسنا نحن وحدنا طلاب النور لا نريد المناصفة بالحكم أو الائتلافية بل إن بعض قادة الرفاه لا يريدون ذلك، وكانوا يقولون لو ننتظر في الانتخابات القادمة لنفوز فوزاً ساحقاً. لكن قلة من القادة ترجح لديهم هذا الأمر، والأغلبية قالت: إن هذه فرصة نستفيد منها لكن مع الأسف الظاهر أنه عكس ما توقعوا.

د. فتحي: إذاً المسألة هي اجتهاد في الموقف ربما يكون مصيباً وربما يكون له محاذير، وهذا شأن اجتهادات العمل في هذا الميدان، وربما تكون المشاركة أيضاً من باب الاجتهاد هي تأصيل وتعميق فرص النجاح في مرة أخرى، وحشد نوع من الزخم من أجل فرصة أخرى، وهذا اجتهاد ربما يكون فيه كثير من الحق.

نأتي بهذا إلى ختام هذا المجلس الطيب ونشكر للأخوة المتحدثين حديثهم ونشكر للأخوة المعقبين تعقيباتهم.

جلسة العمل الثانية

مدير الجلسة: د. فتحي ملكاوي.

١. الورقة الأولى: وجوه الإعجاز عند النورسي.

الدكتور عبدالله الخطيب.

٢. الورقة الثانية: علوم القرآن والتفسير في رسائل النورسي.

الدكتور أحمد شكري شابسوغ.

٣. مناقشات الجلسة الثانية.

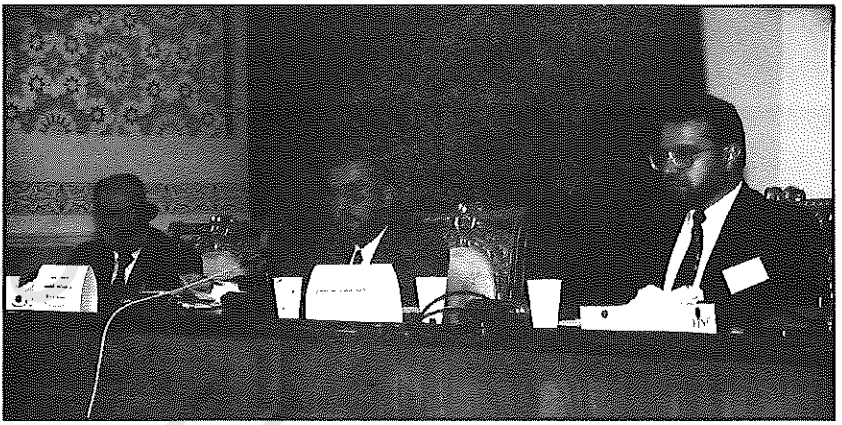

الجلسة الثانية: من اليمين د. أحمد شكري شابسوغ ود. عبدالله الخطيب، ود. فتحي ملكاوي

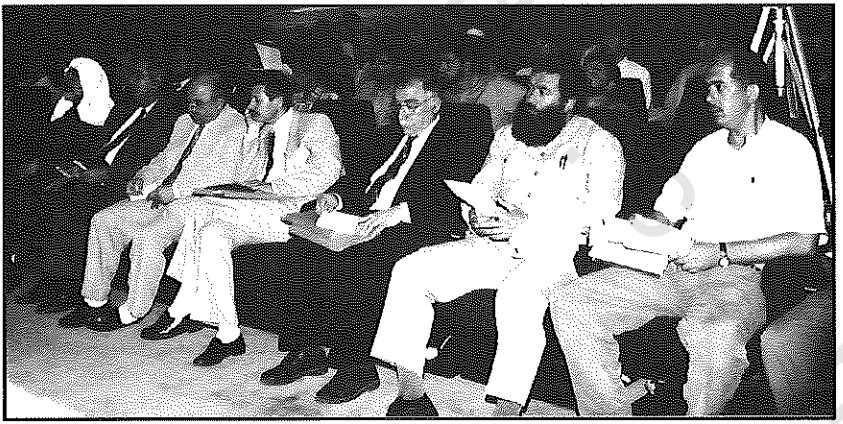

جانب من الحضور